التحلل من القيم الدينية والأخلاقية
في المجتمعات المعاصرة

مقدم من الباحثة
إقبال بنت محمد باصمد
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى

المقدمـــة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا.. الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم لنا الإيمان، ورضي لنا الإسلام فلا يسخطه أبدا.. الحمد لله الذي بعث لنا محمدًا -ﷺ- مبشرًا ونذيرا.. وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرا..

الحمد لله القائل في كتابه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[1]، وقد وصفه الله في محكم التنزيل فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[2] ووصف هذه الأمة المحمدية فقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[3] فهي وسط في عقيدتها، وعبادتها، وأحكامها، ومعاملاتها، وقواعدها، وأصولها، وقيمها، ومبادئها، وأخلاقها... صالحة ومُصلِحة لكل زمان ومكان؛ لأنها مستمدة من أصول ثابتة راسخة كتاب الله، وسنة نبيه محمد-ﷺ- وقال عليه الصلاة والسلام: (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، فمن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ).[4]

وقد قامت الأمة الإسلامية ونهضت في كافة مجالاتها: دعوة، وفكرا، وثقافة، وتربية، واقتصادا، وسياسة على منظومة من القيم الإلهية الربانية، فكل ما في الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح من هدي في السلوك والتفكير يعد الصورة المثلى لأمة حضارية متقدمة نحو الرقي والمثل العليا.

فالقيم في الثقافة الإسلامية مرتبطة بالعقيدة والشريعة، ولها منظومة محددة في الكتاب والسنة، وقيم الإسلام كلها خيّرة فاعلة، فما من قيمة فاضلة إلا وحث

---

(١) سورة الأحزاب، آية رقم: (٢١).
(٢) سورة القلم، آية رقم: (٤).
(٣) سورة البقرة، آية رقم: (١٤٣).
(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب السنة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، (ح رقم ٤٣)، (ج١/ ص ٣٢). قال الألباني: حديث صحيح، (١/ ص٣٣).

الإسلام عليها ودعا إليها، وما من قيمة سيئة سلبية إلا حاربها ودعا إلى نبذها.

وعلى ذلك فإن نظرة الإسلام للقيم تربط بين التصور العقدي وبين السلوك القيمي، فالعقيدة والسلوك مرتبطان ببعضهما ارتباطًا وثيقًا، بل إن السلوك الإنساني لا ينبعث من فراغ بل يقوم على قاعدة راسخة من المعتقدات المعرفية والوجدانية؛ وبالتالي فإن السلوك القيمي جزءًا مهمًا يعبّر عن جوهر الإيمان ومدى عمقه في النفس.(١)

وقد وردت آيات عدة تربط بين الاعتقاد القلبي والعمل الصالح (السلوك القيمي) ومنه قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾(٢)، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ ﴾(٣)، وقوله -ﷺ-: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).(٤)

وعلى هذا أتقدم ببحثي بعنوان:

التحلل من القيم الدينية والأخلاقية في المجتمعات المعاصرة

❖ خطة البحث :

وقد اشتملت على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهارس

المقدمة: تتضمن أسباب اختيار الموضوع- أهداف البحث- ومشكلة البحث- والدراسات والأبحاث وخطة البحث.

التمهيد: ويشتمل على بيان المصطلحات التالية:(الأخلاق- القيم)

المبحث الأول: القيم الدينية في حياة المسلم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: خصائص القيم الدينية.

---

(١) ينظر: تعلم القيم وتعليمها، د. ماجد زكي الجلاد، دار المسيرة- عمان، ط١/ ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م. (ص٥٨).

(٢) سورة البينة، آية رقم: (٧).

(٣) سورة النحل، آية رقم: (٩٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه،(ح رقم ١٣)،(ج١/ ص١٤).

المطلب الثاني: وظائف القيم الدينية.

المطلب الثالث: تصنيفات القيم الدينية.

المبحث الثاني: القيم الدينية والأخلاقية في المجتمع المعاصر

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ظاهرة التحلل من القيم الدينية والأخلاقية.

المطلب الثاني: أسباب التحلل من القيم الدينية والأخلاقية.

المطلب الثالث: الوسائل الوقائية والعلاجية لمواجهة ظاهرة التحلل من القيم الدينية والأخلاقية.

الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والفهارس العلمية.

❖ منهج البحث:

١- اتبعت منهج البحث الوصفي التحليلي، في وصف ظاهرة التحلل من القيم الدينية وبيان أسبابها وسبل العلاج.

٢- عزوت الآيات الكريمة بذكر اسم السورة، ورقم الآية، مع الالتزام بالرسم العثماني.

٣- عزوت الأحاديث إلى مصادرها الأصلية بذكر اسم الكتاب، والباب، ورقم الحديث، ورقم الجزء، والصفحة،

٤- الحكم على الحديث الوارد في السنن الأربعة من كتب الألباني بذكر رقم الجزء والصفحة، وإذا كان الحديث في سنن الترمذي أذكر حكم الترمذي عليه.

٥- ما نقلته بنصه وضعته بين الأقواس مع عزوه إلى مصدره، وما نُقل بتصرف أُشير إليه في الحاشية بكلمة (ينظر).

٦- ذكرت معلومات المصادر والمراجع كاملة عند أول ذكر لها، ثم إذا تكررت يُكتفى باسم الكتاب، واسم المؤلف مختصرًا.

٧- ذكرت الرابط الالكتروني للمقالات المقتبسة من الشبكة العنكبوتية.

والله أسأل أن يمنّ عليّ بفضله وإحسانه وتوفيقه ...

التمهيـــــد

المجتمع الإنساني في حقيقته بناء معياري، ومن هذا البناء المعياري تتكون قواعد للسلوك من خلالها يُحكم عليه بأنه مقبول أو غير مقبول، وهي التي تعطي الفرد كما تعطي المجتمع شكله وشخصيته وهويته، وهذا كله يضمه معنى الأخلاق والقيم.(١)

تعريف الأخلاق: لغة :

(خلق) الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملاسة الشيء، ومن ذلك الخلق، وهي السجية، لأن صاحبه قد قدر عليه. وفلان خليق بكذا، وأخلق به، أي ما أخلقه، أي هو ممن يقدر فيه ذلك.(٢)

وفي التنزيل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾(٣) والجمع: أخلاق لا يكسر على غير ذلك. والخُلق والخَلق: السجية، وفي الحديث عن أبى الدرداء-رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن).(٤)

(الخلق) بضم اللام وسكونها وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها.(٥)

---

(١) ينظر: القيم الإسلامية والتربية، د. علي خليل مصطفى أبو العينين، مكتبة إبراهيم حلبي-المدينة المنورة، ط١/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. (ص٧).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط بدون رقم/ ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.(ج٢/ ص٢١٤).

(٣) سورة القلم، آية رقم: (٤).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب حسن الخلق، (ح٢٠٠٢)،(ج٣/ ص٥٣٥). قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٥) ينظر: لسان العرب لابن منظور، دار صادر- بيروت، ط٦/ ٢٠٠٨م،

والخُلق والخَلق في الأصل واحد، لكن خُصّ (الخَلق) بالهيئات، والأشكال، والصور المدركة بالبصر، وخُصّ (الخُلق) بالقوى، والسجايا المدركة بالبصيرة.(١)

(الخلق): حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية والجمع: أخلاق.

(علم الأخلاق) علم موضوعه أحكام قيمية، تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح.(٢)

الأخلاق في الاصطلاح :

الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر، ولا روية.

وهذه الحال تنقسم إلى قسمين:

- منها ما يكون طبيعيًا من أصل المزاج: كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، وكالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء يناله.
- ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدرب، وربما كان مبدؤه بالرّوية والفكر، ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكة وخلقا.(٣)

ويُعرّف الخُلق كذلك بأنه: (عبارة عن هيئة للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعًا بسهولة: سميت الهيئة خُلقًا حسنًا، وإن

= (ج٥/ ص١٤٠).

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت:صفوان الداودي، دار القلم-دمشق، ط١/ ١٤١٢هـ.(ص٢٩٧).

(٢) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية- مصر، ط٤/ ١٤٢٥هـ-٢٢٠٤م. (ص٢٥٢).

(٣) ينظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، ت: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية،ط١/ بدون تاريخ. (ص٤١).

كان الصادر منها الأفعال القبيحة: سميت الهيئة خُلقًا سيئًا.)[1]

مفهوم الأخلاق عند ابن تيمية:

(ومفهوم الأخلاق عند ابن تيمية-رحمه الله- مرتبط بمفهوم الإيمان، وما ينبثق عنه حيث إنه يقوم على عدة عناصر هي:

١- الإيمان بالله وحده خالقا، ورازقا بيده الملك (توحيد الربوبية).

٢- معرفة الله سبحانه وتعالى، معرفة تقوم على أنه وحده- سبحانه- المستحق للعبادة (توحيد الألوهية).

٣- حب الله سبحانه وتعالى حبا يستولي على مشاعر الإنسان، بحيث لا يكون ثمة محبوب مراد سواه سبحانه.

٤- وهذا الحب، يسلتزم أن يتجه الإنسان المسلم نحو هدف واحد هو تحقيق رضا الله سبحانه، والالتزام بتحقيق هذا الرضا في كل صغيرة وكبيرة من شئون الحياة.

٥- وهذا الاتجاه يستلزم من الإنسان سموا عن الأنانية وعن الأهواء، وعن مآرب الدنيا، الأمر الذي يتيح له تحقيق الرؤية الموضوعية والمباشرة لحقائق الأشياء، أو الاقتراب منها، وهذه شروط جوهرية في الحكم الخلقي.

٦- وعندما تتحقق الرؤية المباشرة والموضوعية للأشياء والحقائق، يكون السلوك والعمل خُلقا من الدرجة الأولى.

٧- وعندما يكون العمل خُلقا من الدرجة الأولى، نكون ماضين في طريق تحقيق، أو بلوغ الكمال الإنساني.)[2]

في التصور الإسلامي للأخلاق لدى ابن تيمية -رحمه الله- نرى الارتباط الوثيق بين مفهوم الأخلاق، ومفهوم الإيمان الذي حدده الإسلام، وما ينبثق عنه من

---

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط١/ ١٤٠٥هـ. (ص١٣٦).

(٢) النظرية الخلقية عند ابن تيمية، د. محمد عبد الله عفيفي، مطابع الفرزدق التجارية - الرياض، ط١/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.(ص٥٨-٥٩).

نظام في العبادة، يكمن في التصور الخلقي الصحيح، ففي الإيمان وطرائقه، وآفاقه تستطيع النفس الإنسانية أن تجد حاجتها المادية والروحية معا، وليس ثمة طريق يبلغ بالإنسان إلى كماله المنشود، وصلاحه المرجو، وبالتالي سعادته المأمولة، غير طريق الإيمان.(١)

وقد قسّم ابن القيم- رحمه الله- الأخلاق إلى قسمين فقال -:

١- أصل الأخلاق المذمومة كلها الكبر والمهانة والدناءة.

٢- أصل الأخلاق المحمودة كلها الخشوع وعلو الهمة. فمن علت همته وخشعت نفسه اتصف بكل خلق جميل ومن دنت همته وطغت نفسه اتصف بكل خلق رذيل.(٢)

(فالخُلق المحمود: صفة ثابتة في النفس فطرية أو مكتسبة تدفع إلى سلوك إرادي محمود عند العقلاء.

والخُلق المذموم: صفة ثابتة في النفس فطرية أو مكتسبة تدفع إلى سلوك إرادي مذموم عند العقلاء).(٣)

والأخلاق الإسلامية هي: مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه.(٤)

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف: صالح بن حميد-عبد الرحمن بن ملوح، دار الوسيلة-جدة، ط٨/ ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م. (ج١/ ص ٦٢)

(٢) ينظر: الفوائد، لابن القيم الجوزية، مكتبة نزار مصطفى الباز،مكةالمكرمة،ط١/ ١٤١٧هـ-١٩٩٦م. (ص: ٢٠٣).

(٣) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم-دمشق، ط٧/ ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، (ج١/ ص ١٦).

(٤) التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، مكتبة الخانجي-مصر، ط١/ ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م. (ص ٧٥).

والخُلق الحسن ينقسم إلى قسمين:

١- حسن الخُلق مع الله: أن يكون العبد منشرح الصدر لأوامر الله تعالى ونواهيه، راضيًا بأمره، فرحًا بأدائه، مستبشرًا بطاعة ربه، سائرًا إليه بين مطالعة منّة الله، وشهود عيب نفسه.

٢- حسن الخُلق مع الناس: جماعه أمران: بذل المعروف قولاً وفعلاً، وكف الأذى قولاً وفعلاً.(١)

(وقد جمع النبي -ﷺ- بين تقوى الله وحسن الخُلق؛ لأن تقوى الله يصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخُلق يصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخُلق يدعو إلى محبته).(٢)

تعريف القيم لغة :

القيمة: واحدة القيم، وأصله الواو من الفعل (قوم)لأنه يقوم مقام الشيء. وقد تعددت معانيه ومدلولاته على معان عدة منها:

١- (الديمومة والثبات: والقيمة: ثبات ودوام على الأمر).(٣) ومنه قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(٤) (ويقال: ما لَه قِيمةٌ: إذا لم يَدُمْ على شيء).(٥)

٢- الاستقامة والاصلاح: والقيم: الاستقامة وأقمت الشيء وقوّمته فقام بمعنى: استقام. والاستقامة: اعتدال الشيء واستواءه. يقال: استقام له الأمر. والملة

(١) ينظر: موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري، بيت الأفكار الدولية- عمان، ط بدون/ ٢٠٠٦م.(ج٣/ ص٢٦٣٩).

(٢) الفوائد، لابن القيم الجوزية، (ص: ٧٢).

(٣) أساس البلاغة، محمود بن عمرو الزمخشري، ت: محمد باسل، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١/ ١٤١٩هـ-١٩٩٨م. (ج٢/ ص١١٢).

(٤) سورة البقرة، آية رقم: (٣).

(٥) القاموس المحيط، أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٨/ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. (ص١١٥٢).

القيمة: المعتدلة[١]

وفي التنزيل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾[٢] أي: (الدين المستقيم).[٣] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾[٤] أي ثابتاً مقوّما لأمور معاشهم ومعادهم.[٥]

٣- السياسة والرعاية: يقال لمن يرعى أمر القوم (قيّم) وهو: السيد وسائس الأمر. وقيّم القوم: الذي يقوّمهم ويسوس أمرهم وقيّم المرأة: زوجها.[٦]

القيم في الاصطلاح:

يصعب الوقوف على الدلالات الاصطلاحية لمعنى القيم وما تتضمنه من معان، فقد تناولها العلماء والدارسون بالتحليل، والتفسير، والبيان، الأمر الذي تمخّض عنه وجهات نظر متعددة، شارك فيها الفلاسفة والتربويون وعلماء الاجتماع والسياسة، وكان خلاصة ذلك كمّاً هائلاً من المعرفة والفلسفة والنظريات واختلاف حول القيم وطبيعتها.[٧]

ومن تلك المعاني الاصطلاحية:

القيم: (عبارة عن معايير لها صفة الانفعال والعمومية، تتصل بالأخلاق التي تقدمها الجماعة، وتكتسب من البيئة الاجتماعية للفرد، يعتبرها الفرد موازيين لتقدير أفعاله، ولها صفة الانتشار في حياة الفرد.)[٨]

إلا أن هذه المفاهيم ناتجة عن وضعية عقلية لا تكاد تفي بفهم القيم

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور، (ج١٢/ ص ٢٢٥-٢٢٧).

(٢) سورة البينة، آية رقم: (٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن حزم - بيروت، ط١/ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م. (ص ٨٩٠).

(٤) سورة الأنعام، آية رقم: (١٦١).

(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (ص: ٤١٧).

(٦) لسان العرب لابن منظور، (ج١٢/ ص ٢٢٧).

(٧) ينظر: تعلم القيم وتعليمها، د. ماجد الجلاد، (ص٢٠).

(٨) القيم الإسلامية والتربية، د. علي خليل مصطفى، (ص٢٣).

الإسلامية التي تلتزم بمدلولات النص الشرعي وترى أن أعمال الإنسان ليست هدفاً في ذاتها بل ترتبط بالله -ﷻ- وتتجه نحو مرضاته.

لذا فإنه يمكن تعريف (القيم) من المنظور الإسلامي فنقول:

القيم الإسلامية هي :

(مفهوم يدل على مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صوّرها الإسلام، وتتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته، يراها جديرة بتوظيف إمكانياته، وتتجسد خلال الاهتمامات أو الاتجاهات أو السلوك العملي أو اللفظي بطريقة مباشرة وغير مباشرة.)[١]

العلاقة بين القيم الدينية والأخلاق:

يبدو جلياً مدى التقارب بين مفهوم القيم الدينية والأخلاق، ولعل مفهوم القيم أوسع دلالة من مفهوم الأخلاق، كما أن الأخلاق تستند في أصلها إلى قيم للسلوك الفردي أو الاجتماعي، والفعل الخلقي هو في صميمه فعل قيمي.[٢]

(١) المرجع السابق، (ص٣٤).

(٢) ينظر: نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، (ج١/ ص٨٤).

المبحث الأول
القيم الدينية في حياة المسلم

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: خصائص القيم الدينية.**
- **المطلب الثاني: وظائف القيم الدينية.**
- **المطلب الثالث: تصنيفات القيم الدينية.**

* * *** * *

المطلب الأول: خصائص القيم الدينية

للقيم الدينية طبيعة متميزة متفردة، وقد أقام الإسلام تصرفات الإنسان على أساس من القيم التي قامت كمعايير لضبط سلوكه وتصرفاته، وعلى أساس هذه القيم تعايش المجتمع المسلم، وضبطت القيم كافة أنشطته وهي جزء لا يتجزأ من ثقافة المجتمع، ومن هنا فإن خصائص القيم الإسلامية هي:

١- أنها تصدر من مصادر الإسلام ذاته، فتستمد القيم من القرآن والسنة المصدرين الأساسيين اللازمين للحديث والبحث عن القيم الإسلامية.

٢- أنها تُستمد من الأحكام الشرعية، باعتبار أن الحياة الإسلامية تقوم على هذه الأحكام الشرعية، وتأتي القيم في صورة أمر بالفعل أو أمر بالترك بكافة درجاتهما، وهي بهذا تحدد توجهات الإنسان في حياته تاركة له مساحة الاختيار.

ويعد الحكم الشرعي معيارًا تقاس به القيم، فكل حكم شرعي يتضمن قيمة محددة سواء أكانت قيمة إيجابية مرغوب فيها أم قيمة سلبية مرغوب عنها، وقد تدرجت الأحكام الشرعية في رتبتها لتشكّل سلماً قيميًا يحكم حركة الإنسان ويضبط تصرفاته بصورة واقعية تتلاءم مع قدراته وأحواله للارتقاء به نحو السمو والكمال، وهي على النحو التالي:

- قيم إيجابية: تشمل القيم المفروضة التي يجب التزامها، وقيم مندوب إليها من غير إلزام.
- قيم سلبية: تشمل قيم محرمة منهي عنها يلزم الابتعاد عنها، وقيم مكروهة منهي عنها من غير إلزام.
- قيم مباحة: وهي وسط بين القيم الإيجابية والسلبية، والخيار فيها متاح للفرد بين الفعل والترك.[١]

٣- أنها تقوم على أساس من الشمول والتكامل، بمعنى:

- تراعي عالم الإنسان والمجتمع الذي يعيش فيه وأهدافه طبقاً للتصور

---

(١) ينظر: تعلّم القيم وتعليمها، د. ماجد الجلاد،(ص٦٠).

الإسلامي، ومن ثم تكون قيمة أي إنجاز بشري في تقدير حسابه وجزاءه في الدار الآخرة مع عدم إهمال الدنيا.(١)

● جامعة لكافة مناشط الإنسان وتوجهاته، تستوعب حياته كلها من جميع جوانبها، ولا تقف عند حد الدنيا فقط.

٤- أنها تقوم على مبدأ التوحيد، باعتباره النواة التي تتجمع حولها اتجاهات المسلم وسلوكياته، حتى يصل لأهدافه، وبهذا تجعل لحياته معنى ووظيفة.

فالسلوك الإنساني القويم سلوك منبعه العقيدة الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة، ومن هنا كانت قيمة توحيد الله-ﷻ- هي قمة القيم الإسلامية وأساسها جميعًا، ثم تشتق منها بقية القيم وتستمد شرعيتها وقوتها؛ لأن العقيدة الصحيحة بمصدريها تلزم صاحبها بأنماط سلوكية إيجابية محددة ومرغوب فيها، وتبعده عن أنماط سلوكيه سلبية غير مرغوب بها.(٢)

٥- أنها تتميز بالاستمرارية والعمومية في كل زمان ومكان، ولا تتأتّى الاستمرارية إلا إذا كانت هذه القيم من عند الله، فالطبيعة البشرية لا يمكنها أن تنشئ نظاماً حياتياً صالحاً له، ولا يمكنه أن يقيم منظومة قيمية له تساعده على أداء دوره في الأرض، بسبب ما يطرأ عليه من ميل للهوى، وما جبل عليه من ضعف.

كما يتضح استمراريتها بأنها لا يطرأ عليها تغيير أو تبديل لأنها ليست من نتاج البشر، وعلى هذا تكون الاستمرارية سمة فاصلة بين قيم رب البشر وقيم البشر.

٦- أنها جامعة للثبات والمرونة، فهناك قيم عليا ثابتة لا تقبل الاجتهاد أو التغيير أو التبديل وهي التي تستند على نص قطعي الدلالة، كالقيم العقدية، وقيم العبادات، وقيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهناك قيم نسبية وهي ما

---

(١) ينظر: القيم الحضارية في رسالة الإسلام، د. محمد فتحي عثمان، الدار السعودية-جده، ط١/ ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.(ص٤٢-٤٣).

(٢) ينظر: تعلّم القيم وتعليمها، د. ماجد الجلاد،(ص٥٨).

تستند على نص ظني الدلالة، فإن مجال الاختيار فيها واسع، وهي مرنة مرونة كافية لمواجهة ما يتولد في حياة الناس من مواقف وحوادث، وما تصير إليه الأمور في المجتمعات.

فالقيم والقواعد القطعية الواجبة لا يجوز فيها التبديل، أما ما يستحدث من مواقف، وما يجوز فيه الاجتهاد ويستجد من قيم بحسب اقتضاء المصلحة زمانًا ومكانًا، فتلحقها الحركة والمرونة، وبهذه الميزة استطاعت القيم الإسلامية الحفاظ على المجتمع الإسلامي بالرغم من التغيرات التي تواجهه.

٧- أنها وسطية انتقائية، فقد عمد الإسلام إلى القيم الجيدة عند العرب فأبقاها وضبطها، وأضاف إليها قيم ليستطيع الإنسان أن يعيش في توازن دقيق في مجتمعه بين الدنيا والآخرة، وبهذا كانت القيم معبرة تعبيرًا صحيحًا عن الفطرة البشرية فهي لم تلغها بل عملت على توجيهها باعتبارها مفاهيم ضابطة.

وهذه الوسطية تستلزم التفهم الكامل الواعي لموضوعات القيم؛ لأنها تستلزم الاختيار ولا اختيار بدون وعي.

٨- أنه ترتبط بالجزاءات الدنيوية والأخروية، ولذا أوجد الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، كما أن هناك هدف أسمى من وراء الالتزام بهذه القيم هو إرضاء الله -ﷻ- ومن ثم كان الالتزام بالقيمة لما لها من قيمة في سبيل إرضاء الله-ﷻ- ويأتي الجزاء بعد ذلك والذي لا يحرم منه الملتزم.

٩- أنها تقوم على أساس الضبط والتوجيه والتنمية والتربية، ولذا فإن أهداف التربية في أي مجتمع إنما تُشتق من هذه القيم التي تهتم بجوانب الإنسان المختلفة وبصورة كاملة.(١)

(١) ينظر: القيم الإسلامية والتربية، د. علي خليل مصطفى (ص٦٨-٧١). ينظر: نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، (ج١/ ص٨١-٨٣).

المطلب الثاني: وظائف القيم الدينية

تتبع أهمية القيم من أنها تضبط سلوك الفرد من الداخل، حيث تقصر الأنظمة والقوانين والأعراف عن ضبط تصرفات الإنسان في خلواته وشؤونه الخاصة.

ومن هنا فإن القيم والأخلاق تشكّل جزءًا مهمًا من منظومتنا العقدية والفكرية، فالمسلم حين يقف موقفًا أخلاقيًا يؤدي عبادة لله تعالى، وحين يقف موقفًا (غير أخلاقيًا) يشعر بالذنب والتناقض والخور النفسي.(١)

وللقيم الخلقية وظائف عديدة، فهي تنعكس على سلوك الفرد قولاً وعملاً، كما ينعكس أثر الالتزام بها على الجماعة أيضا، بل ويمكن أن يمتد أثرها إلى العلاقات الدولية في حالتي السلم والحرب، وسنتناول ذلك- بإيجاز- فيما يلي:

أ- على المستوى الفردي :

١- أنها تهيء للأفراد اختيارات معينة عن طريق الأوامر والنواهي والإلزامات التكليفية، تحدد السلوك الصادر عنهم، وبمعنى آخر؛ تحدد أشكال السلوك، وبالتالي تلعب الدور الهام في تشكيل الشخصية الفردية السعيدة في الحياة الدنيا. وفى الحياة الآخرة عن طريق تحديد أهدافها في إطار معياري صحيح.

٢- أنها تعطي الفرد إمكانية تحقيق ما هو مطلوب منه في إطار الرسالة الإسلامية، وتمنحه القدرة على التكيف والتوافق الإيجابيين، وتحقيق الرضا عن النفس بإرضاء الله تعالى عن طريق التجاوب مع الجماعة في مبادئها وعقائدها وأخلاقها الصحيحة.

٣- أنها تحقق للفرد الإحساس بالأمان، إذ هو يستعين بها على مواجهة ضعف نفسه، ومواجهة التحديات والعقبات التي تواجهه في حياته.

٤- أنها تعطي الفرد فرصة ودفعة نحو تحسين وعيه، ومعتقداته،

---

(١) ينظر: المسلمون بين التحدي والمواجهة- من أجل انطلاقة حضارية شاملة، أ.د. عبد الكريم بكّار، دار القلم- دمشق، ط٣/ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. (ج٢/ ص ١٥٠).

وسلوكياته، لتتضح الرؤية أمامه، وبالتالي تساعده على فهم العالم حوله، وتوسع مدلولات الإطار الفكري لفهم حياته وعلاقاته.

٥- أنها تعطي الفرد فرصة للتعبير عن الذات، مؤكدا ذاته في إطار العبودية الصحيحة لله وعن فهم عميق لها ولإمكانياتها.

٦- أنها تعمل على إصلاح الفرد نفسيًا، وتوجهه نحو الخير والإحسان الواجب وكافة مكارم الأخلاق التي تضمن حياة نظيفة في الدنيا، وجزاء أوفى في الآخرة.

٧- أنها تعمل على ضبط الفرد لشهواته، ومطامعه، فلا تتغلب على فكره ووجدانه، لأنها تربط سلوكه وتصرفاته بمعايير وأحكام أهمها: إرضاء الله سبحانه وتعالى، وبالتالي يتصرف في ضوئها وعلى هديها.

٨- أنها تبعد الإنسان عن النقص البشري الذي يجعل الحياة جحيمًا لا يطاق، وذلك من جراء صفات إذا اتصف بها، من أبرزها الجبن والخوف، والاستهتار واللامبالاة إلى غير ذلك من صفات يجب أن يتجنبها الإنسان.

٩- تسمو بالإنسان وترفعه فوق الماديات المحسوسة حتى لا يرتبط بها ارتباطا كليا، فتغلب عليه حيوانيته، بل ترقى به إلى سماء الإنسانية الرفيعة بكل ما فيها من جمال وقيم ومبادئ سامية لا تتحقق إلا بالتمسك بالأخلاق الإسلامية، ومنهج الإسلام في الحياة.

إلا أن هذه الوظائف ليست منفصلة بعضها عن بعض، بل هي متداخلة متكاملة بعضها مع بعض، وبالتالي تحقق ذاتية الفرد، وتجعله يستشعر عظمة وقيمة حياته، إنها في النهاية تحقيق لإنسانية الإنسان، ورضاه عن نفسه برضا الله تعالى عليه، وتحقيق إرادته مع أوامره ونواهيه.

ب- على المستوى الاجتماعي:

للقيم الخلقية وظيفتها على المستوى الاجتماعي، حيث إنها تحقق للمجتمع وظائف عديدة، منها:

١- تحفظ على المجتمع تماسكه، فتحدد له أهداف حياته، ومثله العليا، ومبادئه الثابتة المستقرة التي تحفظ له هذا التماسك والثبات اللازمين لممارسة حياة اجتماعية سليمة ومتواصلة.

٢- تساعد المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه، بتحديدها الاختيارات الصحيحة والسليمة التي تسهل على الناس حياتهم، وتحفظ على المجتمع استقراره وكيانه في إطار موحد.

٣- تربط أجزاء ثقافة المجتمع بعضها ببعض حتى تبدو متناسقة، كما أنها تعمل على إعطاء النظم الاجتماعية أساساً إيمانيًا وعقليًا لتصبح عقيدة في ذهن أعضاء المجتمع المنتمين والمتفاعلين بهذه الثقافة.

٤- تقي المجتمع من الأنانية المفرطة، والنزعات، والأهواء والشهوات الطائشة التي تضر به وبأفراده ونظمه، فهي تحمل الأفراد على التفكير في أعمالهم على أنها محاولات للوصول إلى أهداف هي غايات في حد ذاتها، وليس على أنها مجرد أعمال لإشباع الرغبات والشهوات.

ولذلك فإن القيم والمثل العليا في أي جماعة هي الهدف الذي يسعى جميع أعضائها للوصول إليه، والمثل الأعلى في المجتمع الإسلامي هو محمد -ﷺ- والمنهج الذي بلّغ به من قبل الله تعالى باعتباره المثل الأعلى.

٥- تزود المجتمع بالصيغة التي يتعامل بها مع العالم الطبيعي والبشر، وتحدد له أهداف ومبررات وجوده، حتى يسلك في ضوئهما، ويستلهمها الأفراد في سلوكياتهم.

٦- تزود المجتمع بالصبغة الملائمة التي تربط بين نظمه الداخلية من اقتصادية وسياسية وإدارية وبالتالي تحوطه بسياج حام من التفكك والانحلال.[١]

(١) ينظر: القيم الإسلامية والتربية، د. علي خليل مصطفى (ص٣٥-٣٧). ينظر: نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، (ج١/ ص ٨٥-٨٦).

المطلب الثالث: تصنيفات القيم الدينية

لكل مجتمع ما يعرف بالسلم القيمي أو (نظام القيم)، بمعنى أن القيم مرتبة فيما بينها ترتيبًا هرميًا، وأن هناك قيمًا لها مكان الأولوية في حياة الفرد والمجتمع عن باقي القيم، وفي أي مجتمع من المجتمعات توجد بعض القيم الأساسية والضرورية التي لا بد لكل فرد أ ن يتمسك بها وهي تعتبر محددات لفكره وسلوكه، ومنها تشتق المعايير الأساسية التي توضح نوع وطبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع، وهذه تمثل المرتبة العليا، ومثال على ذلك: القيم الدينية والخلقية، فهي الأساس الأول في كيان المجتمع الإسلامي.

فالمسلم يتفاعل مع الحداث الاجتماعية بصورها المختلفة، وبناءً على هذا التفاعل تنشأ مجموعة من العمليات العقلية والنفسية التي تربط بين القيمة وغاية السلوك ووسائل تحقيقها، ويكون من نتاجها ذلك السلوك الديني والخلقي بما يتفق وروح الإسلام.

وعلى ذلك تحتل القيم الدينية والخلقية مكان الصدارة في السلم القيمي للمجتمع الإسلامي، فهي التي تكسب الحياة الإنسانية معنى أسمى وتضفي على العلاقات الاجتماعية مغزاها الخلقي، ولا يقتصر هذا على مجرد ترتيبها في سلم القيم وإنما تعمل عملها في باقي القيم كالقيم الاقتصادية، والاجتماعية، والجمالية، والتربوية، والسياسية وغيرها، تحديدًا لغاياتها، وتوضيحًا للوسائل المتبعة في تحقيق هذه الغايات وفقاً للشريعة الإسلامية، وهذه الحقيقة هي التي تعطيها قيمتها لتكون أعلى مراتب السلم القيمي نظرًا لشعور المسلم بأهميتها لذاته كفرد مسلم، وكموجهات لسلوكه في الحياة الاجتماعية.[1]

تصنيفات القيم الإسلامية:

١- من حيث الإطلاق والنسبية: ويوجد هنا مستويان:

الأول: القيم المطلقة: وترتبط بالأصول، وهي قيم ثابتة ومطلقة ومستمرة لا

---

(١) ينظر: الأحكام القيمية الإسلامية، د. عبد الغني عبود، (ص١٥١-١٥٣).

تتغير بتغير الزمان والأحوال، ولا مجال للاجتهاد فيها إلا الفهم والوعي، ومن ثم يجب على المسلم أن يتقبلها، ويسلِّم بها، ويعمل بمقتضاها، وهذه تعود إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة.

الثاني: القيم النسبية: وترتبط بما لم يرد فيه نص، أو تشريع صريح وهي تخضع للاجتهاد الذي لا يتعارض مع نص صريح، ومعنى نسبيتها أنها متغيرة بتغير المواقف عبر الزمان والمكان بما يحقق المصلحة، وتحتاج إلى اجتهاد جمعي لإقرارها.

٢- من حيث تحقيق المصلحة: وهي تتعلق بحفظ الكليات الخمس وهي:

- الدين: وموضوع القيم هنا صلة الإنسان بربه.
- النفس: وموضوع القيم هنا صلة الإنسان بنفسه، وحياة الإنسان.
- العقل: وموضوع القيم الجوانب الفكرية والعقلية في حياة الإنسان.
- النسل: وموضوع القيم صلة الإنسان بغيره على وجه العموم.
- المال: وموضوع القيم صلة الإنسان بالأشياء والمكاسب.

وتأتي القيم هنا مرتبة ترتيبا هرميا طبقا لمحورين أساسيين:

* درجة النفع: وهنا ثلاث درجات، الضروريات، الحاجيات، والتحسينيات.
* درجة الحكم: من حيث الحلال والحرام والمباح والمكروه والمندوب.

٣- من حيث تعلقها بأبعاد شخصية الإنسان وجوانبها: والتي تربى على القيم وتحتضنها:

- البعد الروحي: وتعبر عنه القيم التي تنظم علاقة الإنسان بربه، وتحدد صلته به.
- البعد الخلقي: وتعبر عنه القيم المتعلقة بالأخلاق والتي تتصل بالشعور والمسئولية.
- البعد العقلي: وتعبر عنه القيم المتعلقة بالعقل والمعرفة، وإدراك الحق، ووظيفة المعرفة.
- البعد الجمالي: وتعبر عنه القيم المتعلقة بالتذوق الجمالي والتعبير عنه، وإدراك الاتساق في الحياة.
- البعد الوجداني: وتعبر عنه القيم الوجدانية الانفعالية، وهي تلك التي تنظم

الجوانب الانفعالية للإنسان وتضبطها، من غضب ورضا أو حب وكره، وغير ذلك.

– البعد المادي: وتعبر عنه القيم المتعلقة بالوجود المادي للإنسان.

– البعد الاجتماعي: وتعبر عنه القيم التي تتصل بالوجود الاجتماعي للإنسان من خلال مجتمعه والمجتمع العالمي.

وخلاصة القول أن صيغة التكامل بين هذه الأبعاد هي الأساس في تناول هذه القيم، فكل بعد متكامل مع الآخر، وتتكامل كافة أبعاد التصنيف الثلاثة بعضها مع بعض مكونة النسق القيمي الإسلامي الصحيح.[1]

(١) نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، (ج١/ ص٨٣-٨٤).

المبحث الثاني
القيم الدينية والأخلاقية في المجتمع المعاصر

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: ظاهرة التحلل من القيم الدينية والأخلاقية.**
- **المطلب الثاني: أسباب التحلل من القيم الدينية والأخلاقية.**
- **المطلب الثالث: الوسائل العلاجية لمواجهة ظاهرة التحلل من القيم الدينية والأخلاقية.**

المطلب الأول:
ظاهرة التحلل من القيم الدينية والأخلاقية

المجتمع الإسلامي له قيمه التي تضبط وتحدد سلوكه النابع من المصدرين الكتاب والسنة، إلا أنه اليوم يعيش إشكاليات متراكمة، فهو ينجذب نحو حياة معاصرة بما فيها من انجازات مادية وفكرية، هذا الانجذاب أثّر على كل مكونات حياة الإنسان المسلم، بما في ذلك عمود حياته وهو القيم.(١)

إن التقدم والتطور المادي بعيدًا عن العقيدة الدينية أثّر على المعايير الخلقية والوزن النسبي لأهمية القيم ومحددات السلوك الخلقي، وقد ظهرت كثير من القيم السلبية داخل المجتمع وأخذت مكانها مع القيم الايجابية، وأصبحت مقاييس السلوك مترتبة على نتائجها العملية، وأكثر الفضائل رواجًا هي فضيلة التكيّف مع المجتمع وللمتطلبات الاجتماعية بدون ضوابط شرعية، فالشخص الناجح في عمله هو الشخص المتوافق مع من يتعامل معهم اجتماعيًا بغض النظر عن الأساليب التي يستخدمها.(٢)

---

(١) ينظر: القيم الإسلامية والتربية، د. علي خليل، (ص٨).

(٢) ينظر: الأحكام القيمية الإسلامية، د. عبد الغني عبود، (ص٢٤).

ولقد ظهرت في المجتمعات الإسلامية ظواهر كثيرة، دالة على التحلل من القيم الدينية والخلقية، من أبرزها ما يلي:

ظاهرة الانحراف العقدي:

الانحراف عن العقيدة الصحيحة مهلكة وضياع؛ لأن العقيدة الصحيحة هي الدافع القوي إلى العمل النافع، والفرد بلا عقيدة صحيحة يكون فريسة للأوهام والشكوك التي ربما تتراكم عليه، فتحجب عنه الرؤية الصحيحة لدروب الحياة السعيدة؛ حتى تضيق عليه حياته.

كما أن المقومات المادية تحتاج إلى توجيه وترشيد؛ للاستفادة من خصائصها ومنافعها، ولا موجّه لها سوى العقيدة الصحيحة؛ فقوة العقيدة يجب أن لا تنفك عن القوة المادية؛ فإن انفكت بالانحراف عنها، صارت القوة المادية وسيلة دمار وانحدار؛ كما هو المشاهد اليومَ في الدول الغربية التي تملكُ مادة، ولا تملك عقيدة صحيحة.[1] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾[2]

والانحراف العقدي يؤدي إلى قبول التيارات الفكرية الهدامة، والانجذاب إلى كل نظرية ومذهب وثقافة مستوردة، تسعى إلى هدم العقيدة في نفوس المسلمين وهدم القيم والمبادئ والأخلاق.ومن أسباب الانحراف عن العقيدة الإسلامية، ما يلي:

١- الجهل بالعقيدة الصحيحة.

٢- التّعصُّبُ لما عليه الآباء والأجداد، والتمسك به وإن كان باطلًا، وترك ما خالفه وإن كان حقًّا.

٣- التقليدُ الأعمى بأخذ أقوال الناس في العقيدة من غير معرفة دليلها،

---

(١) ينظر: عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو ينقصها من الشرك الكبر والأصغر، صالح بن فوزان عبد الله الفوزان، دار العاصمة-الرياض، ط١/ ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.(ص ١٠-١١).

(٢) سورة المؤمنون، آية رقم: (٥١).

ومعرفة مدى صحتها، كما هو الواقعُ من الفرقِ المخالفة من جهمية ومعتزلة، وأشاعرة وصوفية، وغيرهم، حيثُ قلدوا من قبلهم من أئمة الضلال؛ فضلوا وانحرفوا عن الاعتقاد الصحيح.

٤- الغُلُو في الأولياء والصالحين، ورفعهم فوق منزلتهم؛ بحيث يُعتقد فيهم ما لا يقدر عليه إلا الله من جلب النفع، ودفع الضر، واتخاذهم وسائط بين الله وبين خلقه في قضاء الحوائج وإجابة الدعاء؛ حتى يؤول الأمر إلى عبادتهم من دون الله، والتقرب إلى أضرحتهم بالذبائح والنذور، والدعاء والاستغاثة وطلب المدد.

٥- الغفلة عن تدبر آيات الله الكونية، وآيات الله القرآنية، والانبهار بمعطيات الحضارة المادية، حتى ظنوا أنها من مقدور البشر وحده، فصاروا يُعظِّمون البشر، ويضيفون هذه المعطيات إلى مجهوده واختراعه وحده.

٦- خلو البيت غالبًا من التوجيه العقدي الصحيح على منهج الكتاب والسنة.(١)

ظاهرة انحسار مفهوم الإسلام الشامل

إن الانحراف العقدي أدى بدوره إلى انحسار مفهوم الإسلام الشامل كمنهج للحياة وبهذا الانحسار ضاق مفهوم العبادة في الإسلام في شعائر تعبدية من: صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، ثم يعيش المسلم فيما بين الشعائر بلا عبادة، فخرجت رويدًا رويدًا من دائرتها الحقيقة، حتى انحصرت في أزمنة وأمكنة محددة لا تتعداها.

وانحسر نظامه التربوي والتعليمي ومن ثم ضعُف دوره الإيجابي في تربية الأجيال، وإعداد الأمة الناشئة وفق منهج الإسلام... وانحسر نظامه الاقتصادي وقواعده في التملك والتنمية والكسب والرقابة المالية...وانحسر نظامه الاجتماعي وأثره في الفرد والأسرة، والجماعة والأمة، كما انحسر مفهومه الأخلاقي فانتشرت الرذيلة والخيانة وكثرة الفواحش والتبرج والاختلاط المحرم...، وانحسر مفهومه الثقافي لتحل محله التيارات الغربية والمذاهب الفكرية الهدامة والحركات

(١) ينظر: عقيدة التوحيد، صالح الفوزان،(ص ١١-١٣).

المنحرفة.(١)

فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله، وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه، أو أن الخروج عنها أكمل فهو من أجهل الخلق وأضلهم.(٢)

ظاهرة غياب المسئولية :

وهذه الظاهرة تتجسّد في التقصير في أداء الحقوق والواجبات، وتظهر في صور متعددة، منها:

قصور في أداء الحقوق الأسرية، بكافة أنواعها: حقوق الوالدين، الزوجة، الأبناء، حقوق الإخوة والأخوات، حقوق الأقارب والأرحام.

قصور في أداء الحقوق الاجتماعية، وحقوق العمل المهني والأداء الوظيفي: مواظبة، ونوعًا، وكمًا، ومراعاة الحق العام، وحق الدولة، وحق الولاة والعلماء... إلى غير ذلك من الحقوق والواجبات التي أضحت موضع اللامبالاة، إما جهلاً بما يجب عليه أداءه من حقوق، وإما إهمالاً وتقصيرًا، فينتج عن ذلك سلوك قائم على مبدأ النفعية والحرية في الفكر الغربي، وكلاهما تنبثقان من تيارات غربية.

* فأما مبدأ المنفعة هو: مذهب أخلاقي اجتماعي لا ديني، يجعل من نفع الفرد والمجتمع مقياسًا للسلوك، لا تلتزم بالأصول الدينية، إذ تقيس صواب العمل بمقدار ما يحققه من منفعة وسعادة، بصرف النظر عن توافقه مع الأخلاق أو مطابقته مع الدين، وترى أن كل ما يُلزم به الدين، يمكن للقانون والرأي العام أن يأتي به. ولا شك أن هذا تجاوزًا يهدم أسس العقيدة ويحول المجتمعات إلى غابة

---

(١) ينظر: التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، ناصر بن عبد الكريم العقل، جامعة الإمام محمد بن سعود، رسالة علمية،(ص١٤٣-١٤٤).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت: عبد الرحمن محمد القاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة، ط بدون رقم/ ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.(ج١٠/ ص١٥٤-١٧٦)

تتصارع فيها المنافع بلا ضابط أو رابط.(١)

* وأما مبدأ الحرية في الفكر الغربي: انسلاخ الفرد من كل ما تعارف عليه المجتمع من آداب وقوانين لتحقيق أقصى رغباته وشهواته، دون قيد أو شرط أو إكراه من أي جهة كانت، وذلك دون اعتبار لحريات الآخرين.(٢)

بينما حقيقة مفهوم الحرية عند المسلمين، إنما هو تحرير الإنسان من أشكال العبودية لغير الله تعالى، سواء ما كان منها للشهوات أو للأهواء والمذاهب أو للأفكار التي تتعارض مع التوحيد الخالص لله، وذلك في إطار متوازن يجمع بين الحرية والمسؤولية، والحق والواجب، كما يجمع بين الحقوق الفردية والجماعية، ومن هنا جعل الإسلام الحرية أساس المسؤولية؛ ولذلك حرر الإنسان من الحتمية والجبرية والانهزامية واليأس والضعف، جاعلاً له إرادة واختيار في حدود الحق والواجب، مرتِّبًا على تعدِّيهما الحدود والتشريعات الرادعة حفاظًا على تلك الحرية التي هي مناط التكليف.(٣)

كما أكّد رسولنا محمد - ﷺ - في أكثر من موضع أهمية المسؤولية وأداء الأمانة والحقوق، حين قال عبد الله بن عمر - رضي الله عنه -: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، والإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته- قال: وحسبت أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته).(٤)

---

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط: د. مانع بن حمّاد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع- الرياض، ط٥/ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.(ج٢/ ص ٨٠٨-٨٠٩).

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان، (ج٢/ ص ١٠٤٨).

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ج٢/ ص ١٠٤٧-١٠٤٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، ح رقم (٨٩٣)، (ج١/ ص٣٥١).

ظاهرة التقليد والتبعية للدول الغربية:

ظاهرة التقليد ظاهرة سلبية ممقوتة وأمارة ضعف في حياة الأمم والأفراد، وتقليد الأمم الأخرى ومشابهتهم يؤدي إلى كسب أخلاقها وسلوكها وأسلوب حياتها، حتى يصل الأمر إلى تقليدها في عقائدها وأفكارها وثقافتها وأدبها وفنونها.. وبهذا تفقد الأمة مقوماتها الذاتية وحضارتها وتكون عالة على غيرها، إلى أن يصل بها الأمر إلى زوال الشخصية تمامًا فتصاب بأمراض اجتماعية من الذل والاستصغار والشعور بالنقص وعدم الثقة والانهزامية في كل شيء.(١)

والتقليد: هو أن يتبع الإنسان غيره في قول أو فعل أو اعتقاد أو سلوك من غير دليل ولا نظر ولا تأمل ودون إدراك ولا وعي.(٢)

يقول ابن تيمية-رحمه الله-:(إن المشاركة في الهدي الظاهر، تورث تناسبًا وتشاكلًا بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس..)(٣)

وما ظهر في مجتمعاتنا من تقليد واتباع وتشبه بالكفار في شتى ألوان الحياة، وأنماط السلوك، والهيئة والأشكال، واللباس، والأخلاق.. وفي الاعتقاد والتصور والفكر والفلسفة والسياسة والاقتصاد والأدب والفن والثقافة والنظم والتشريع من غير اعتبار للعقيد والشريعة الإسلامية، والقيم الدينية والأخلاق الفاضلة، ومن غير إلزام للمنهج الإسلامي الأصيل.(٤)

وقد حذّر النبي -ﷺ- من ذلك، منبهًا إلى ما سيحصل من مشابهة الكفار في آخر الزمان، والتخلي عن المنهج الإسلامي الشامل، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه-

---

(١) ينظر: التقليد والتبعية، ناصر العقل، رسالة علمية،(ص١٤١-١٤٢).

(٢) ينظر: المرجع السابق،(ص٥٥).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب- بيروت، ط٧/ ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.(ج١/ ص ٩٣).

(٤) ينظر: التقليد والتبعية، ناصر العقل، رسالة علمية،(ص٥٦).

عن النبي -ﷺ- قال:(لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع) فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: (ومنِ الناس إلا أولئك)[١] وعن النبي -ﷺ- قال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم). قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال:(فمن).[٢]

يقول ابن تيمية- رحمه الله-:(وكلما كان القلب أتم حياة، وأعرف بالإسلام - الذي هو الإسلام، لست أعني مجرد التوسم به ظاهرًا أو باطنًا بمجرد الاعتقادات من حيث الجملة - كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنًا وظاهرًا أتمّ، وبُعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد).[٣]

ظاهرة خلط القيم الدينية بالعادات:

إن هذه الظاهرة هي علامة على الانحراف عن منهج الكتاب والسنة، إذ يعتبر ما هو قيمة دينية ثابتة بنصوص الوحيين، عادة مجتمع أو زمن معين، فهي قابلة للتجديد، والتغيير، والتبديل بما يوافق الأهواء والنزعات والرغبات، كقيمة الحياء لدى الأنثى، وقيمة العفة، وقيمة الحجاب، وقيمة الأدب في التعامل، وقيمة الأمانة، وقيمة الإحسان، وقيمة الستر..... وغير ها من القيم الدينية التي لها أصول في كتاب الله وسنة رسوله-ﷺ- نجدها تتبدل وتتغير باسم العادة، مما يؤدي إلى انحلال كثير من القيم الدينية، والانحراف عن منهج الوحيين، لتصبح العادات محكمات ومعايير للسلوك الفردي والمجتمعي، قابلة للتبديل باختلاف المجتمع والزمان، خاضعة للآراء والأهواء.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبيﷺ:(لتتبعن سنن من كان قبلكم)، (ح رقم ٧٣١٩)، (ج٥/ ص ٢١٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبيﷺ:(لتتبعن سنن من كان قبلكم)، (ح رقم ٧٣٢٠)، (ج٥/ ص ٢١٤).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم،ابن تيمية، (ج١/ ص ٩٤).

والخلط بين القيم الدينية والعادات يؤدي إلى:

- ضعف القدرة على التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ، وضعف القدرة على الانتقاء والاختيار من القيم الدينية بحسب أولوياتها الشرعية.
- تخلي بعض الأفراد عن تمسكهم بالقيم الدينية والخلقية، شعورًا منهم بأن هذا يُيسّر لهم ملاحقة التطورات العلمية والتكنولوجية في العصر الحديث، اعتقادًا بأن المجتمع إنما يقدّر القيم المادية أكثر من غيرها.(١)
- وقوع الكثير في اختلال الترتيب الشرعي بين أنواع المطلوبات والمنهيات، أو الاهتمام بالمندوبات مع غض الطرف عما يصاحب ذلك من أعمال محرمة.(٢)

وهذا خلط فاسد إذ أن القيم الدينية -كما عرّفناها سابقًا- هي: (مفهوم يدل على مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صوّرها الإسلام، وتتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته، يراها جديرة بتوظيف إمكانياته، وتتجسد خلال الاهتمامات أو الاتجاهات أو السلوك العملي أو اللفظي بطريقة مباشرة وغير مباشرة.)(٣)

وهذا يعني أن القيم الدينية ثابتة لا تتبدّل باختلاف الأحوال والأزمنة، لها إطارها المرجعي كمصدر أساسي لها يتمثل في: كتاب الله وسنة نبيه-ﷺ- على هيئة أوامر ونواه وتشريعات وتكليفات، مما يتطلب الوعي التام بمصادرها وأحكامها التكليفية الخمسة ومقاصدها وخصائصها في ضوء الأحكام والتجليات الشرعية لها.

وأما العادة كما جاء في تعريفها: هي الديدن يُعاد إليه، وجمعها: عادات، وتعوّد الشيء وعاده وعاوده واعتاده واستعاده، وأعاده أي: صار عادة له.(٤)

---

(١) ينظر: الأحكام القيمية الإسلامية، د. عبد الغني عبود، (ص٢٢).

(٢) ينظر: المسلمون بين التحدي والمواجهة- نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، أ.د. عبد الكريم بكّار، دار القلم- دمشق، ط٣/ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. (ج١/ ص٣٣).

(٣) القيم الإسلامية والتربية، د. علي خليل مصطفى، (ص٣٤).

(٤) ينظر: لسان العرب لابن منظور، (ج١٠/ ص ٣٢٦).

ومصدر العادة العقل، وما تعارف عليه الناس في أي مجتمع، حسنًا كان أو قبيحًا، كما ورد ذلك في بيان معناها: (العادة: ما استمر الناس عليه على حكم المعقول، وعادوا إليه مرة بعد أخرى)[1].

ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

١- يطلق لفظ العادة على ما يعتاده الفرد في شئونه الخاصة، كعادته في نومه وأكله، ونوع مأكوله وملبوسه وحديثه وكثير من أفعاله، وهذا يسمى عادة فردية.

٢- يطلق أيضاً على ما تعتاده الجماعات مما ينشأ في الأصل عن اتجاه عقلي وتفكير حسناً كان ذلك أو قبيحاً، وهذا يسمى عند الأكثرين عرفاً.

٣- كما تطلق العادة على كل حال متكررة سواء كانت ناشئة عن:

- سبب طبيعي كإسراع بلوغ الأشخاص.
- أم كانت ناشئة عن الأهواء والشهوات وفساد الأخلاق، كالتقاعس عن فعل الخيرات، والسعي بالضرر والفساد، وتفشي الكذب وأكل المال بالباطل والفسق والظلم، مما يسميه الفقهاء فساد الزمان.
- أو ناشئة عن حادث خاص كفشو اللحن من اختلاط العرب بالأعاجم.[2]

وبهذا يظهر الفارق الجلي بين القيم الدينية والعادات، إذ لا مسوّغ للخلط بينهما.

إن هذه الظواهر مرتبطة بعضها ببعض، فالانحراف عن مسار العقيدة الإسلامية ومنهج الوحيين، أدى إلى انحلال القيم الدينية ومعايير السلوك، واضطرابها في أذهان كثير من أفراد المجتمع، إما تطرّفًا في فهم الدين أو بُعدًا عنه، إذ كل قيمة يتشبع بها الفرد لا بد أن تظهر آثارها على السلوك الصادر عنه، فغاية الفعل يحمل مضمون القيمة.

---

(١) التعريفات، الجرجاني،(ص١٤٦).

(٢) ينظر: المدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم-دمشق، ط١/ ١٤١٨هـ-١٩٩٨م. (ج٢/ ص٨٧١-٨٧٢).

ومن أسوأ ما أضر بمنظومة القيم، أنها أصبحت مجموعة شعارات تُرفع، أو أفكارًا تُناقش، بدلاً من أن تكون قناعات تُترجم إلى أفعال، فأُفرغت من محتواها، وتحوّلت إلى مجموعة من المهارات والسلوكيات التي تُعلّم ثم تمارس لتُحسِّن صورة الفرد لدى الآخرين إما ليكسب احترامهم أو ليأمن شرهم، دون أن تؤثر في علاقاته الإنسانية ولا ترقى بقيمته الذاتية.(١)

فالهم الأكبر ليس ما أنجزه على صعيد مرضاة الله، وإنما ما زاد في ثروته. فاضمحل لفظ (الصالح)، و(التقي) على ألسنة الناس وحلّ محله لفظ (الإنسان الناجح)، وكان ذلك دليلاً واضحًا على ولادة معايير وقيم اجتماعية جديدة في تحقيق القبول الاجتماعي.(٢)

مما أدى ذلك كله إلى عدم رؤية الفرد وإدراكه السليم لما يقوم به من سلوك له أثره السلبي على الآخرين، وكيف يجب أن يكون أمام المواقف الحياتية المختلفة.

وأخيراً....(إن بعض الأمم تستمد قوتها من مالها وثرواتها، والبعض الآخر تستمدها من النظم والقوانين التي تقوم عليها، والبعض من القوة التي تملكها، وهكذا... لكن أمة الإسلام قوتها الكبرى وميزتها في مبادئها وقِيمها، وكل ما يضاف إليها من أرقام في العلم والتقدم والحضارة والبناء وغيرها يزيدها قوة إلى قوتها، لكن هذه الأرقام مهما بلغت فلن تعطي الرقم الحقيقي للأمة، إذا خلا مكان القيم، فهو الرقم الحقيقي والرئيس.)(٣)

---

(١) موقع الالكتروني: جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، أ. رابحة الزيرة، الرابط: http://www.tajdeed.org/article.aspx?id=١٠٢٩٩

(٢) ينظر: المسلمون بين التحدي والمواجهة- نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، أ.د. عبد الكريم بكّار، (ج١/ ص٣٢).

(٣) موقع الكتروني: صيد الفوائد، قيمتنا بقيمنا، نبيل بن عبد المجيد النشمي، الرابط: http://www.saaid.net/Doat/nashmi/٥.htm

المطلب الثاني:
أسباب التحلل من القيم الدينية والأخلاقية

إن روح الإسلام ومنهجه الجامع بين الأخلاق والشريعة في ظل عقيدة التوحيد لا يعارض سير الحضارة، بل هو يدفعها إلى الغايات.

وقد جاء في تصريح د.(شون ماكبرايد) عام ١٩٨٤م، وهو يخاطب العرب والمسلمين فيقول: (أنتم محظوظون في هذا الجزء من العالم؛ لأن الإسلام والقيم الأخلاقية لا زالت ضاربة جذورها في مجتمعاتكم، ولهذا فانتم تواجهون تحديين:

- حماية قيمكم الدينية والأخلاقية من أن تتأثّر بنوع القيم السائدة حاليًا في الغرب. وقد نجح الإسلام حتى الآن في تجنب الآثار السلبية للحضارة الغربية. لكن السؤال هو: هل ستتمكنون من الاستمرار في الحفاظ على نقاوة مجتمعاتكم، في عصر البرامج التلفزيونية، والتي ستبث عبر الأقمار الصناعية؟.
- كذلك هناك السعي إلى بناء الإحساس بالمسؤولية الأخلاقية في العالم، ليس عن طريق فرض القيم الإسلامية، وإنما بإعطاء المثل الخيّر، وفتح الطريق أمام شباب العالم الحائر.)[١]

كان من المفروض أن تبقى شعوب الأمة الإسلامية منيعة حصينة، لا تسمح بتسلل أي تيار يُفسد عليها عقيدتها؛ لأن الإسلام الذي تدين به المجتمعات ليس عقيدة تكفي بالاستقرار في الوجدان، ولا فكرة يمتلئ بها الذهن فحسب، بل هي عقيدة تفضي إلى شريعة وسلوك ومعاملات. ففي ضوء القيم الإسلامية يعيش المسلم في إطار نفسي وفكري يستمد منه دائمًا أنماط سلوكية سليمة، فالأوامر الإلهية ليست متعلقة بشعائر تعبدية ولكنها تنطوي على فضائل خلقية، وكذلك فإن للمحظورات الدينية دلائل خلقية.[٢] لذلك يقول ابن القيم- رحمه الله -: (الدين كله

---

(١) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، د. عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم- دمشق، ط٣/ ١٤١٩هـ-١٩٩٨م. (ص٢١٤-٢١٥).

(٢) ينظر: الأحكام القيمية الإسلامية، د. عبد الغمي عبود، (ص ٣٠-٣١).

خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين).[1]

ومع ذلك فقد وُجدت عدة أسباب هيّأت مناخًا مناسبًا، لاهتزاز وانحلال القيم الدينية والأخلاقية في المجتمعات المعاصرة، ومن أبرزها ما يلي:

الجهل بالعقيدة الصحيحة:

(الجهل بالعقيدة الصحيحة؛ بسبب الإعراض عن تعلُّمها وتعليمها، أو قلة الاهتمام والعناية بها؛ حتى نشأ جيلٌ لا يعرفُ تلك العقيدة، ولا يعرف ما يخالفها ويضادها؛ فيعتقد الحق باطلًا، والباطل حقًّا).[2] والجهل بها إما: جهلاً بمعناها وبأصولها وقواعدها، أو حصرها في ألفاظ وصور لا تتعداها، أو عدم العمل بمقتضاها؛ مما يؤدي إلى انحراف الفكر، والقيم، السلوك، والأخلاق.

الجهل بالأحكام التشريعية:

إن البُعد عن منهج الكتاب والسنة، فهمًا لنصوصهما، وعملاً بمقتضاهما، وتطبيقاً لأحكامهما التشريعية، وعدم الامتثال بالتسليم والطاعة للأحكام التكليفية الواردة فيها، مع الميل عن منهج السلف الصالح في فهم الأدلة وتطبيق الأحكام؛ تسرّبت شوائب وتشويهات إلى مفاهيم كثير من المسلمين، التي تحددّت بها تصوراتهم الخاطئة لدين الله-ﷻ- ومنها:

- الصورة المختلطة المهزوزة في مفاهيم بعض المسلمين لحقيقة التعاليم الإسلامية، وذلك بتداخل عناصرها، وعدم تمايز حدودها، فلا تمتاز الكبائر عن الصغائر، ولا المحرمات عن المكروهات، ولا الواجبات عن المندوبات؛ وسبب وجود هذه الصورة المختلطة المهزوزة الجهل بالتعاليم الإسلامية الصحيحة.
- تغيير النِّسب بين مفردات وأجزاء التعاليم الإسلامية، إذ أخذ بعضها من المساحة الكلية في أفكار ونفوس طائفة من السلمين أكثر من نصيبه المقدّر له في

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣/ ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.(ج٢/ ص٢٩٤).

(٢) عقيدة التوحيد، الفوزان،(ص١١).

أصل التشريع، فنلاحظ اهتمام البعض بالشكل الظاهر للمسلم، وإهماله الأسس الجوهرية التي قام عليها الإسلام عقيدة وعملاً، أو يصغّر من حجمها ويعطيها أقل اهتمامه؛ وهذا بسبب فقدان الإدراك السليم الكامل الشامل للمفاهيم الإسلامية بوجه عام، ولمقادير كل منها، ولكيفية ترابطها وتناسقها في الصورة الإسلامية العامة.

- تزوير التعاليم الإسلامية تزويرًا كليًا أو جزئيًا، وخاصة لدى الفرق المنحرفة الضالة.(١)

المذاهب الفكرية المنحرفة :

تواردت العديد من المذاهب الفكرية والثقافية المنحرفة، وظهرت الاتجاهات والمدارس الفلسفية، فاختلف مفهوم القيم الدينية والأخلاق، ومن ذلك على سبيل المثال: فإن الأخلاق في النظرية الغربية: ما هي إلا ظواهر اجتماعية تملى على الأفراد من غير أن يكون لهم دخل في بنائها على أنها نتاج من بيئتها وبنت عصرها.

ومنها: أن الأخلاق علم يضع القوانين التي ينبغي أن يسير بمقتضاها السلوك الإنساني بما يحقق ذاتية الإنسان بما هو إنسان، وبالتالي فإنها غاية لا وسيلة.

ومن دعاة الفلسفة الوضعية من ينكر أن يكون لعلم الأخلاق أسس وقواعد نظرية، وإنما الأخلاق علم وضعي تجريبي يبحث الواقع المحسوس الذي يعيشه الإنسان. في الوقت الذي تنفي فيه النظرية المادية صلة الأخلاق بالدين، بزعم أنها عبارة عن استجابة النفس للبيئة، وقد رتبوا على ذلك اقصاء الدين والاكتفاء برقابة الضمير الإنساني. ومع هذا الزحف العلماني أزيحت الأخلاق عن شتى المجالات وما بقي منها فهو نفعي بحت.(٢)

فهذه الفلسفات والمدارس الوضعية تجعل للقيم مصادر متنوعة متمثلة في الأحكام العقلية والأنماط الاجتماعية، التي تقوم على ما تعارف عليه أفراد المجتمع

---

(١) كواشف زيوف، د. عبد الرحمن الميداني، (ص ٩٣-٩٦).

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان، (ج٢/ ص٩٤٩-٩٥٠).

من أحكام قيمية، وقد ضلت عندما قامت بتهميش دور الدين وتعاليمه في تكوين القيم وتحديدها.

الغزو الفكري:

تسلّل أعداء الإسلام (غزاة الفكر) من الثغرات التي ظهرت في واقع المسلمين نتيجة ضعفهم، وبُعدهم عن تطبيق أحكام الإسلام، وتفشي الجهل بينهم؛ إذ اعتلت الشعارات المخادعة والمعادية للدين، وانطلق الغزو الفكري والنفسي والخلقي والسلوكي، وعمل على ترسيخ قناعات بضرورة التنازل عن القيم الدينية، ومتابعة الدول الغربية بُغية الخلاص من واقع التخلّف الحضاري.

ومن وسائل الغزو الفكري لهدم القيم الدينية والأخلاقية، ما يلي:

- إقناع الأجيال بأن الأخلاق أمور اعتيادية، ونسبية، وهي متغيرة ومتبدلة بحسب المواقف والأهواء والأزمنة، وتحقيق الرغبات.
- استغلال بعض الآراء والأفكار الفلسفية، التي من شأنها تقليل قيمة الدين والأخلاق في نفوس الأفراد والمجتمعات، إذ تقيمها على أسس واهنة ضعيفة، أو على شفا جرف هار، فما تلبث أن تنهار وتحل محلها أنانيات فوضوية، تعتمد على الحيلة، والإباحية المطلقة لكل شيء مستطاع، فلا خير إلا ما تدعمه القوة، ولا شر إلا ما تضعف القوة عن تحقيقه.
- تلفيق آراء وأفكار فلسفية، يطلقون عليها اسم (النظريات) تزييفًا للحقيقة، ثم يخدعون بها المجتمعات، لا سيما الناشئون منهم، ويستغلون فيها رغبات المراهقة بالتمرد على الحق والواجب، وقد تطول فترة المراهقة عند البعض، حتى تكتسح عمر الشباب منهم وجزءًا من عمر الكهولة، وسبب ذلك الاستسلام التام لعواصف طور المراهقة، ووجود المغذيات الشيطانية الخبيثة، وضعف التربية الدينية أو انعدامها.
- اتخاذ الوسائل العملية التطبيقية لإفساد الأخلاق، وأهمها الغمس في بيئات موبوءة بالأخلاق الفاسدة، حتى تكون الانحرافات عادات مستطابات.[1] مثال

(١) ينظر: كواشف زيوف، د. عبد الرحمن الميداني. (ص٢١٠-٢١١).

على ذلك: افتتاح المدارس الأجنبية في البلاد الإسلامية:

وهي أدهى وسائل التنصير والتغريب وهدم العقيدة الإسلامية والقيم الدينية، والنقلة الجادة بأولاد المسلمين من محاضنهم الإسلامية –المدارس الحكومية والأهلية الإسلامية– بنقلتهم وإسلامهم إلى محاضن الكفر والضلال والإباحية والإلحاد في: (المدارس العالمية–الأجنبية) إنها قنطرة إلى مبدأ حرية تغيير الدين، ودرجة إلى: (عولمة التعليم) بين المدارس الدينية للملل المختلفة، وبينها وبين المدارس اللادينية –العلمانية–إنها حركة لهدم الماضي المشرق العريق والمستقبل المضيء باسم (تجديد البناء)، ومن آثارها المدمّرة:

- كسر حاجز النفرة من الكفر والكافرين، حتى لا يقال للكافر: يا كافر، بعد الآن.[1]
- زعزعة عقيدة الأمة الإسلامية، ونظمها الأخلاقية، والاجتماعية، والسياسية؛ لأنه إذا تبنّت أمة نظام تعليم وافد في ظل عقيدة غير عقيدتها وأخلاق غير أخلاقها، فإنه ينتج أهدافه منعكسة عليها في الاعتقاد والأخلاق والسياسة والاجتماع.
- سياسة الانفتاح والخلط والعولمة في صورة العلم والحضارة والتقدم والثقافة، ولهذا يلقّب المنتسبون إليها: بالطبقة الجديدة أو المعاصرة او المطورة.
- دخول التعليم الأجنبي في البلاد الإسلامية غربة في دينها، وغياب في أخلاقها ولغتها وآدابها، واحتقار لتاريخها، وفرقة في وحدتها، ومن ثم تسلّم قيادتها لجيل جديد: إسلامي في الاسم، وعقد النكاح، وتسجيل المواليد، أجنبي في اللسان والذوق والرأي والفكر؛ لأن كل مدرسة تُعنى بدين بلادها، ولغتها، وتاريخها، ومقومات حياتها.
- الردة إلى النصرانية بتلقين التقوى المسيحية والسلوك المسيحي، وتنشئة طلابها على فلسفة مسيحية للحياة.

---

(١) ينظر: المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية تاريخها ومخاطرها، بكر بن عبدالله أبو زيد، دار ابن حزم–القاهرة، ط١/ ١٤٢٦هـ–٢٠٠٦م. (ص٨–٩).

○ الردة إلى اللادينية وسلخ لدين المسلم إلى الإلحاد والعلمنة، وهي أوسع مساحة من ردته إلى دين باطل كالنصرانية.(١)

الإعــلام:

إحجامُ وسائل الإعلام في غالب العالم الإسلامي عن أداء مهمتها، فقد أصبحت المادة الإعلامية في الغالب لا تولي جانب الدين اهتمامًا كبيرًا، أو لا تهتم به أصلًا، وأصبحت وسائلُ الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في الغالب أداة تدمير وانحراف، أو تعنى بأشياء مادية وترفيهية، ولا تهتم بما يُقَوِّمُ الأخلاق، ويزرع العقيدة الصحيحة، ويقاوم التيارات المنحرفة؛ حتى نشأ جيلٌ أعزل أمام جيوش الإلحاد لا يدان له بمقاومتها.(٢)

وتقدم الوسائل الإعلامية مواد صريحة وغير الصريحة ضمن المسلسلات، والأفلام، والبرامج الوثائقية التعليمية، التي تُطبع دائمًا بنمط العيش الغربي بما فيه ثقافة وممارسات غير أخلاقية، والتدرج في نشر الأفكار الهدامة والسلوكيات المنحرفة بصور شيقة ومواقف طريفة وقصص اجتماعية باسم الفن والتمثيل.

كما تقدم لفئة الأطفال: الأفلام الكرتونية وتعد مسرح نشيط لنشر السلوكيات المنحرفة بين الأطفال، وكذلك لنشر أفكار المذاهب الهدامة كالماسونية بشعاراتها الخدّاعة، ومثال على ذلك: (شركة والت ديزني)، صاحبها يقدّم التسلية ولا شيء أكثر من ذلك؛ لذا وُصف بأنه المعلِّم الأعظم في هذا القرن، فتدور الأفلام الكرتونية حول: ترويج الحياة الشاذة والدفاع عنها- تخصيص يوماً سنويًا في ملاهيها باسم يوم الجسد- تصوير العربي بأنه جاهل متخلِّف بلا أخلاق وأما المسلم فهو شرير جبان إرهابي وتنشر في مسلسلات عدة، منها: علاء الدين، عودة جعفر، كاظم في الجيش الآن....- الصلاة للمسيح- نشر السحر والشعوذة- إمكانية إحياء الموتى- تصوير صراع بين الملائكة والشياطين- الايحاءات الجنسية- وتشبه الرجال بالنساء- كما يعدونها مسرحًا للشياطين والأشباح والوحوش

---

(١) ينظر: المدارس العالمية الأجنبية، بكر أبو زيد، (ص ٣٢-٣٩).

(٢) ينظر: عقيدة التوحيد، الفوزان،(ص ١٣-١٤).

والمسوخ تحت مسمى الخيال الواسع والقوى الخارقة مصادمة للعقيدة الإسلامية.(١)

الانفتاح على الحضارة الغربية المادية:

انجذاب بعض المجتمعات الإسلامية وتطلعهم إلى الحضارة الأوربية المادية، نتيجة شعورهم بالنقص تجاهها، ورافق هذه الفتنة تصورات خاطئة أوهمت المثقفين أن التقدم الحضاري المادي هو مظهر للتقدم في كل ما يضمن سعادة الناس، من خلق وألوان وسلوك في الحياة ونظم اجتماعية مختلفة.(٢)

إن ما تتعرض له المجتمعات الإسلامية، هي محاولات مخططة لاجتثاث الأصول الفكرية وتشويه القيم الخلقية التي تلتزم بها المجتمعات الإسلامية، ووسيلتها في ذلك دعوة هذه المجتمعات إلى انتماءات جديدة وولاءات مبتكرة تعمل على هدم القيم والمعتقدات السائدة واهتزاز المفاهيم الإسلامية في نفوس أبناء المجتمع الإسلامي.(٣)

في حين يتخذ المنهج التربوي الإسلامي طريقًا مغايرًا، فهو يؤصّل مرجعية عليا تحكم القيم هي مرجعية الشرع، وفي إطاره تتحدد منظومة القيم ويتأطر منهج التعامل معها في ضوء مصدري التأسيس في الإسلام: القرآن الكريم والسنة. فالإسلام دين القيم العليا، والمثل السامية، ورسالته رسالة القيم الإنسانية التي تتسم بالربانية والشمول والثبات والتوازن والعالمية، وتعاليم الإسلام ما جاءت إلا لتكوّن الإنسان الذي يتمثل القيم العليا قيم التوحيد، والعمل الصالح، والخير والعدالة، والإخاء، والحرية، والعمران، والاستخلاف..... وأحكام الشرع الإسلامي ليست في حقيقتها إلا معايير قيمية سامية توضح للإنسان سبل السلوك الإنساني السوي، فكل حكم شرعي يحمل قيمة محددة إما مرغوبًا فيه وإما مرغوبًا عنه، فما أوجبه الله- ﷻ- يعد قيمة إيجابية مرغوبًا فيه، وما نهى الله-ﷻ- عنه فهو قيمة سلبية ينبغي الابتعاد عنها وتجنبها.(٤)

---

(١) ينظر: مقاطع من أفلام الكرتون على موقع يوتيوب: سلسلة عصر الاستيقاظ، وحقيقة ديزني- الجزء ١-٢-٣.

(٢) ينظر: كواشف زيوف، د. عبد الرحمن الميداني،(ص٩١-٩٩).

(٣) ينظر: الأحكام القيمية الإسلامية، د. عبد الغمي عبود، (ص ٢٧).

(٤) ينظر: تعلم القيم وتعليمها، د. ماجد الجلاد، (ص٥٣-٥٤).

المطلب الثالث: الوسائل العلاجية لمواجهة التحلل من القيم الدينية والأخلاقية

إن المسألة الحاسمة في مجال القيم الدينية والأخلاق هو (إطارها المرجعي) بمعنى المصدر الذي نستمد منه الحكم على حسن السلوك أو قبحه.

وحاجتنا إلى القيم والأخلاق ذات الأصول الإسلامية في الوقت الحاضر، هو نتاج طبيعي لما يموج به المجتمع المعاصر من مشكلات نتجت عن تلك التغيرات السريعة المادية، وبالتالي فإن علاجها لا يقتصر على مجرد غرس مجموعة من المبادئ والقيم أو استجلائها، بل يجب أن يهدف الغرس إلى تنمية القدرة على التفكير حول القيم السائدة، ومن ثم تفهّم معنى ومدلول القيم الدينية والمبادئ الخلقية، الذي يؤهل استخدامها استخدامًا سليمًا في مواجهة المواقف الاجتماعية والمشكلات المختلفة.(١)

وأمة الإسلام لا تحتاج إلى من يبرهن لها على ضرورة التمسك بالقيم الدينية وارتباطها بالأخلاق الحميدة، لكن الضغوط الاجتماعية، والمشاكل الحياتية، والحضارة المادية، مع اجتماع أسباب التحلل عن القيم الدينية والخلقية، يجعلنا أن نسير ابتداءً في معالجة القضية بلفت الانتباه إلى مركزية الأخلاق وارتباطها بالمبادئ والقيم، و ذلك من خلال ما يلي:

١- النبي-ﷺ- هو النموذج الأسمى لاجتماع المبدأ والسلوك، وأعظم المسلمين به شبهًا هم أولئك الذين ضاقت الهوة بين سلوكهم وبين القيم والمبادئ الدينية وتوجيهاتها السامية، قال -ﷺ-: (إن من خياركم أحسنكم اخلاقا).(٢)

٢- إن أهم مصدر للسعادة والهناء انسجام واقع المرء مع ما يعتقده، حيث يشعر المرء بتيار يجتاحه من البهجة والأمن كلما تخطى عقبة من العقبات التي

---

(١) ينظر: الأحكام القيمية الإسلامية، د. عبد الغمي عبود، (ص ٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبيﷺ، (ح رقم٣٥٥٩)، (ج٣/ ص١١٤).

تحول بينه وبين التمسك بمثله وقيمه العليا.

٣- إن القاعدة الدينية والأخلاقية في أي مجتمع هي التي تتحمل الأثقال التي تنتج عن طبيعة الحياة المادية والاجتماعية، وهذه القاعدة هي التي تمكن الناس من تحمل الظروف الصعبة دون أن يتحللوا أو ينحرفوا.

٤- إن الذين نكنّ لهم عظيم الاحترام ليسوا أولئك الذين يملكون الكثير من المال أو الدهاء أو القوة الجسدية، وإنما أولئك الذين يملكون قيم دينية وخلقية؛ لأن طابع الرقي الحقيقي هو طابع ديني أخلاقي، أكثر من أن يكون طابعًا عمرانيًا تنظيميًا.

٥- إن البعد الديني والأخلاقي هو المركز في علاقة الإنسان بربه وعلاقته بأخيه المسلم، وحين ينحط الإنسان يتحول من عبادته لربه إلى عبادته لذاته وشهواته، ومن ثم تسود علاقته بالآخرين القوة بدل الرحمة، وينصرف عن العناية بالروح إلى العناية بالجسد، وعن الاهتمام بالمبدأ إلى الاهتمام بالمصلحة، والطريق الوحيد للحيلولة دون هذه الحالة يكمن في تدعيم الرقابة الذاتية وتعزيز علاقة العبد بربه، وتحفيز الإرادة الخيّرة في الناس.

٦- إن تيار الشهوات لا يمكن أن يقابل إلا بتيار ديني متدفق من الإيمان العميق بالله -ﷻ- وإن كثيرًا من الشباب الذين جرفهم تيار الجنس والمجون والخلاعة لم يكونوا بحاجة إلى أدلة على فضل العفة والاستقامة، بقدر حاجتهم إلى فيض من معاني العبودية الحقة لله والإحساس الصادق بمعيته واطلاعه.

فالمسلم بحاجة إلى إحداث تغيير ديني خلقي يستعلي به على المعطيات المادية، وإثراء حياته بوسائل لا تحتاج إلى المال.[1] وهذا التغيير في وسط المعطيات المعاصرة، يحتاج إلى قوة، وفعالية، وبصيرة، ومن الوسائل المعينة على ذلك :

---

(١) ينظر: المسلمون بين التحدي والمواجهة-مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية، أ.د. عبد الكريم بكّار، دار القلم- دمشق، ط٣/ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. (ج٤/ ص ٢٠٣-٢٠٦).

• تعلُّم العقيدة الإسلامية من مصادرها الصحيحة، فهي العلم الأساسي الذي تجدر العناية بها تعلُّمًا، وتعليمًا، وعملًا بموجبه؛ لتكون الأعمال صحيحة مقبولة عند الله نافعة، خصوصًا وأننا في زمان كثرت فيه التيارات المنحرفة الخطيرة، ما لم يكن المسلم مسلّحًا بسلاح العقيدة الصحيحة المرتكزة على الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، فإنه حري أن تجرفه تلك التيارات المضلة؛ وهذا مما يستدعي العناية التامة بتعليم العقيدة الصحيحة لأبناء المسلمين من مصادرها الأصيلة(١)، تعليمًا يقود إلى تعظيم الله-ﷻ- لتوحيده، وهو أعلى قيمه في السلم القيمي، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾(٢)، والتعظيم هو: معرفة عظمة الرب، وتعظيمه وإجلاله مع التذلل له، وعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به أشدهم تعظيمًا له، ومحبة، وطاعة، وعبادة. والتعظيم على ثلاث درجات:

١- تعظيم الأمر والنهي بلا معارضة بجفاء أو غلو.
٢- تعظيم الحكم الكوني القدري.
٣- تعظيم الرب سبحانه.(٣)

لذلك يُعد علم أصول الدين من أشرف العلوم، إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه، وصفاته، وأفعاله.(٤)

• طلب العلم الشرعي، وهو أصل كل قيمة دينية وخلقية، إذ لا سبيل لامتثال أمر الله تعالى في لزوم اتباع الكتاب والسنة، والاعتصام بهما، إلا بطلب

---

(١) ينظر: عقيدة التوحيد، الفوزان، (ص٣).
(٢) سورة البقرة: آية رقم: (٢٥٥).
(٣) ينظر: موسوعة فقه القلوب، التويجري،(ج٢/ ص١٨٠٧).
(٤) ينظر: شرح عقيدة الطحاوي، علي بن علي بن أبي العز الحنفي، ت: جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي-دمشق، ط١/ ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م. (ص٣).

العلم والتفقّه في الدين ليعبد الله على بصيرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾[1] وفي ذلك يقول ابن تيمية- رحمه الله-: (جماع الفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي، وطريق السعادة والنجاة وطريق الشقاوة والهلاك: أن يجعل ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، وبه يحصل الفرقان والهدى، والعلم والإيمان، فيصدّق بأنه حق وصدق، وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل، وإن لم يعلم هل وافقه أو خالفه لكون ذلك الكلام مجملا لا يعرف مراد صاحبه، أو قد عرف مراده ولكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه، أو تكذيبه فإنه يمسك فلا يتكلم إلا بعلم. والعلم ما قام عليه الدليل والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ).[2]

ولهذا العلم شعبتان: فضائل ومسائل، أما الفضائل: فمذاكرتها تولّد الشوق والرغبة والطلب لامتثال أوامر الله، وهي من الإيمان وبها تُعرف قيمة الأعمال، وتتحرك الجوارح لأدائها. وأما المسائل: هي الأحكام التي نتعلمها، ونعمل بها، لتكون أعمالنا على منهج الرسولﷺ. وكمال الإنسان ليس بذاته بل بإيمانه وعلمه وعمله.[3]

- الاهتمام بدراسة المذاهب الفكرية والتيارات المنحرفة، والاطلاع الجيد على عوارها ومعرفة كيفية دحضها، وإعداد العدّة لمواجهة الحرب الفكرية التي تتستر بشعارات خدّاعة، وتنتشر في العالم الإسلامي، وقوي لها أعداء الدين، أعداء الأخلاق والقيم والحشمة والفضيلة؛ لذا فإن الاهتمام بدراستها من أعظم المنافع، لكشف حقيقة زيغها والتحذير من شرورها، والتصدي لكل ما جلبته من خراب

(١) سورة النساء: آية رقم: (٥٩).
(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج١٣/ ص ١٣٦).
(٣) ينظر: موسوعة فقه القلوب، التويجري،(ج٢/ ص١٥٠١).

للأخلاق والقيم، واستهانة بالدين الحنيف.(١)

• الوعي الجيد بكيفية التعامل مع الحضارة الغربية بحذر دون اندفاع، وذلك وفق الضوابط التالية:

١- ألا ينظر إليها على أنها المثل الأعلى، والحضارة المتقدمة.

٢- الاعتقاد الجازم بأن الحياة السعيدة هي حياة الآخرة التي جعلها الله ثوابًا لأوليائه، والأخذ بأنواع المتع الدنيوية المباحة للاستعداد لتلك الحياة.

٣- أن يستفيد من أي أمر من الحضارة الغربية بشرط ألا يتعارض مع دينه وقيمه، دون تقليد لا يفرق بين المفاهيم الغربية والمفاهيم الإسلامية.(٢)

٤- الاعتزاز بالحضارة الإسلامية، وأن رسالة الإسلام تضمنت القيم الكفيلة بتأسيس حضارة راسخة شامخة أصلها ثابت وفرعها في السماء، نامية متجددة تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها، فأكدت كرامة الإنسان، وأهمية ما أنعم الله به عليه من عقل وإرادة، وواجب الجد في العمل في هذه الدنيا لنيل ثواب الآخرة، والوعي بالزمن، ووجّهت المؤمنين إلى إقامة السلطة الضابطة المنظمة العادلة، وصبغت حضارة الإسلام بطابع عالمي فكان خيرها للإنسانية جمعاء، كما تميزت بإقامة القيم على أساس معنوي عقدي أخلاقي، وهذه خصيصة متفردة لهذه الحضارة وقيمها، فمؤسساتها ونظمها وسائر منجزاتها تنبعث فيها روح أخلاقية يزكيها الإيمان.(٣)

• الاهتمام الجيد بتربية النشء بإيجاد مدخل جديد للتنمية الأخلاقية، يقوم على منح بعض الثوابت القيمية والأخلاقية اهتمامًا خاصًا ببعض مدلولاتها، ف(التقوى) في حياتنا المعاصرة بحاجة إلى إثراء مفرداتها لتتناول بعض الفروض الحضارية، مثل الإسراع إلى العمل، والمحافظة على الوقت، والدقة في تنفيذ

---

(١) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب علي عواجي، المكتبة العصرية-جده، ط١/ ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.(ج١/ ص٣٧-٣٩).

(٢) ينظر: المرجع السابق،(ج١/ ص١٩٩).

(٣) ينظر: القيم الحضارية، د. محمد عثمان، (ص١٢٣).

الأعمال، والالتزام بالمواعيد، وحسن التصرف بالإمكانيات المتاحة.(١)

كما أن لغة التنبيه والتوجيه التربوي، ينبغي أن تُعلِّم النشء المعايير الأخلاقية الذاتية المستقلة، وليست (النسبية) فإذا ما وقع في خطأ ما، وجب أن نقول له: هذا حرام، أو هذا خطأ، أو هذا ضار... هذه اللغة تؤسس في العقلية خطأ الأشياء في ذاتها، ووجوب الامتناع عنها في السر والعلن.(٢) ولنتمعّن خطاب النبي -ﷺ- لابن عباس -رضي الله عنه- كيف يؤسس خطابه عقلية الارتباط بالله -عز وجل- ومحاكمة الأمور إلى ثوابت قطعية خارجة عن مراقبة الناس، عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: (كنت خلف رسول الله -ﷺ- يوما فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك: احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف).(٣)

• أن يسعى أرباب الأسر، وذووا التربية إلى حجب المواد الإعلامية التي تسعى إلى هدم العقيدة، وزعزعة القيم الإسلامية، وتحسين السلوك المنحرف، ومحاولة استبدالها بما يوافق تعاليم الدين الإسلامي دون هدم أو زعزعة أو تضليل، ومراقبة الألعاب الالكترونية التي تحمل الكثير من معاول الهدم والتضليل.

• دور الدعاة والمصلحين وحملة المبادئ والقيم في امتثال هذه القيم والدعوة إليها، واستخدام كل الوسائل التربوية(٤)الممكنة لترسيخ الإيمان والقيم والأخلاق، وتنميتها والتفاعل معها في واقع الحياة، والإلزام بمنهجها الرباني ضمن الأسس

---

(١) ينظر: مدخل إلى التنمية المتكاملة، أ.د. عبد الكريم بكّار، (ج٤/ ص ٢١٣).

(٢) ينظر: المرجع السابق، (ج٤/ ص ٢٢٦).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب٥٩،(ح رقم ٢٥١٦)،(ج٤/ ص٢٨٥). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) هذه الوسائل مبسوطة في كتب أهل العلم على التفصيل منها: موسوعة نضرة النعيم، (ج١)، الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني،(ج١).

التربوية، واستخدام التقنية الإعلامية وسيلة لنشر القيم الدينية والأخلاقية، (فالمتميز الحقيقي في الرؤية الإسلامية ليس الذي يحقق كثيرًا من المنجزات وينتج عددًا من الأشياء، إنما هو ذاك الذي يحقق أعلى مستوى من المطابقة بين مبادئه ومُثله، وبين سلوكياته وأنشطته، فتتأكد الضرورة إلى الاهتمام بالأخلاق الحميدة فكرًا وسلوكًا.)[١]

وربما جاز القول:(إن الالتزام بأصول الحياة الإسلامية الصحيحة قد يوفّر نوعًا من المناخ المطلوب لذلك).[٢]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[٣]

(١) موقع الالكتروني: صيد الفوائد، قيمتنا بقيمنا، نبيل بن عبد المجيد النشمي. الرابط: http://www.saaid.net/Doat/nashmi/٥.htm

(٢) المسلمون بين التحدي والمواجهة- حول التربية والتعليم، أ.د. عبد الكريم بكّار، دار القلم- دمشق، ط٣/ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. (ج٥/ ص ٢٠٣-٢٠٦).

(٣) سورة الأنعام، آية رقم: (١٦١-١٦٣).

الخاتمـــة

الحمد لله رب العالمين.. والعاقبة للمتقين.. ولا عدوان إلا على الظالمين.. والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.. نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

وبعد توفيق الله -ﷻ- وتمام فضله وإنعامه، بأن منّ عليّ بإتمام هذا البحث وإنجازه، فقد توصلت إلى أهم النتائج التالية:

١- تتبع أهمية القيم الدينية من مكانة مصدريها الكتاب والسنة.

٢- الحفاظ على القيم الدينية، يعني التمسك بأوامر الله -ﷻ- ونواهيه، واتباع هدي النبي ﷺ.

٣- خطورة الجهل بالدين وبأحكام الشريعة الإسلامية؛ إذ الجهل يفضي بالمرء إلى المهالك.

٤- كلما ازداد المرء علماً عن الله -ﷻ- كلما ازداد له قربة وطاعة وتعظيمًا وهذا يقوده إلى فضائل الأعمال، ومحاسن الأقوال.

٥- الاعتزاز بالحضارة والثقافة الإسلامية، ينعكس على سلوك المرء في رفض الثقافات المستوردة والتي تعارض القيم الدينية.

٦- التحلل من القيم الدينية والأخلاقية ظاهرة خطيرة؛ تفضي إلى التحلل من أحكام الشريعة الإسلامية والابتعاد عن الصراط المستقيم.

٧- ضرورة التركيز على غرس القيم الدينية في نفوس الناشئة.

٨- ضرورة التمييز بين القيم الدينية والعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية.

* وصلى الله على نبيّنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه وسلم *

فهرس المصادر والمراجع

*القرآن الكريم (جل منزله وعلا).

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حبنكة الميداني، دار القلم-دمشق، ط٧/ ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(٢) أساس البلاغة، محمود بن عمرو الزمخشري، ت: محمد باسل، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١/١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، ت: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب-بيروت، ط٧/١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٤) التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، مكتبة الخانجي-مصر، ط١/١٣٧٩هـ-١٩٧٧م.

(٥) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي-بيروت، ط١/١٤٠٥هـ.

(٦) تعلم القيم وتعليمها، د. ماجد زكي الجلاد، دار المسيرة- عمان، ط١/١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

(٧) التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، ناصر بن عبد الكريم العقل، جامعة الإمام محمد بن سعود، رسالة علمية.

(٨) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، ت: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية،ط١/ بدون تاريخ.

(٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن حزم - بيروت، ط١/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(١٠) الجامع الكبير، للإمام محمد بن عيسى الترمذي، ت: بشار عواد معروف، دار الغر ب الإسلامي- بيروت، ط٢/١٩٩٨م.

(١١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله-ﷺ- وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، أشرف على تحقيقه: شعيب أرنؤوط- عادل مرشد،دار الرسالة العالمية، دمشق- الحجاز، ط١/١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

(١٢) دستور الأخلاق في القرآن، د. محمد عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط١٠/١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(١٣) سنن ابن ماجه بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي السندي، وبحاشية تعليقات مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه للإمام البوصيري، وضع الفهارس العامة: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط٥/١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

(١٤) شرح عقيدة الطحاوي، علي بن علي بن أبي العز الحنفي، ت: جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي-دمشق، ط١/١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(١٥) صحيح سنن ابن ماجه للإمام محمد بن يزيد القزويني، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١/١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(١٦) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو ينقصها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع، صالح بن فوزان عبد الله الفوزان، دار العاصمة- الرياض،ط١/١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(١٧) الفوائد، لابن القيم الجوزية، مكتبة نزار مصطفى الباز ،مكةالمكرمة،ط١/١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(١٨) القاموس المحيط، أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٨/١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(١٩) القيم الإسلامية والتربية، د. علي خليل مصطفى أبو العينين، مكتبة إبراهيم حلبي-المدينة المنورة، ط١/١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٢٠) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، د. عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم- دمشق، ط٣/١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٢١) لسان العرب لابن منظور، دار صادر– بيروت، ط٦/٢٠٠٨م.

(٢٢) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ت: عبد الرحمن محمد القاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف– المدينة المنورة، ط بدون رقم/١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

(٢٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣/ ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

(٢٤) المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية تاريخها ومخاطرها، بكر بن عبدالله أبو زيد، دار ابن حزم–القاهرة، ط١/١٤٢٦هـ–٢٠٠٦م.

(٢٥) المدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم–دمشق، ط١/١٤١٨هـ–١٩٩٨م.

(٢٦) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب علي عواجي، المكتبة العصرية–جده، ط١/١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.

(٢٧) المسلمون بين التحدي والمواجهة– حول التربية والتعليم، أ.د. عبد الكريم بكّار، دار القلم– دمشق، ط٣/١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

(٢٨) المسلمون بين التحدي والمواجهة– من أجل انطلاقة حضارية شاملة، أ.د. عبد الكريم بكّار، دار القلم– دمشق، ط٣/١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

(٢٩) المسلمون بين التحدي والمواجهة– نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، أ.د. عبد الكريم بكّار، دار القلم– دمشق، ط٣/١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

(٣٠) المسلمون بين التحدي والمواجهة–مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية، أ.د. عبد الكريم بكّار، دار القلم– دمشق، ط٣/١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

(٣١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية– مصر، ط٤/١٤٢٥هـ–٢٢٠٤م.

(٣٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط بدون رقم/ ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٣٣) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت:صفوان الداودي، دار القلم-دمشق، ط١/١٤١٢هـ.

(٣٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط: د. مانع بن حمّاد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع-الرياض، ط٥/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(٣٥) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري، بيت الأفكار الدولية-عمان، ط بدون /٢٠٠٦م.

(٣٦) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف: صالح بن حميد-عبد الرحمن بن ملوح، دار الوسيلة-جدة، ط٨/١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

(٣٧) النظرية الخلقية عند ابن تيمية، د. محمد عبد الله عفيفي، مطابع الفرزدق التجارية -الرياض، ط١/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

* الشبكة العنكبوتية:

(٣٨)جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، أ. رابحة الزيرة ، الرابط: http://www.tajdeed.org/article.aspx?id=١٠٢٩٩

(٣٩)صيد الفوائد، قيمتنا بقيمنا، نبيل بن عبد المجيد النشمي، الرابط: http://www.saaid.net/Doat/nashmi/٥.htm